مشاهدات وملاحظات

الفلاح المصرى والفلاح الأوربى

بقلم الاقتصادى البارع الاستاذ عبد الحكيم الرياس نجل الطبى

أسرة الفلاح المصرى لها طابع خاص فى معيشتها . وهذا عادات فى ربط صلات أفرادها ، وأنا فلاح ابن فلاح لا فضل لى ولا سبق فى تبيان ما عليه فلاحنا ، ولكن نروم أن نوازن بين حال فلاح أوربا وحال فلاحنا ، وذلك بمناسبة اتجاه النهضة المصرية نحو اصلاح القرى وإيصال الثقافة العصرية إلى بنيها وبناتها .

فى قرية فرنسية

والآن فلنقصد إلى قرية من قرى فرنسا ، ولا يكلفك الوصول إليها عناء أو مشقة ، فهناك شبكة من المواصلات بالسكك الحديدية وبالطرق الزراعية الممهدة المرصوفة ، والقطار والسيارة والعجلة جميعها فى خدمتك بكل قرية ، فاذا انتهت بالقرية شهدت القوم يرتدون ثياب الريف الفضفاضة ، هناك نساء فى خفر وحياء ، ورجل دائب يشترك فيه أعضاء الأسرة جميعاً فاذا أصبح الصباح نهضت الفلاحة تعد الطعام للأسرة من لبن وقهوة وبطاطس وخبز وزبدة ، ويتناول الكل طعام الصباح فى وقت واحد وعلى مائدة واحدة ، ثم يذهب كل إلى عمله فالرجل إلى حقله ، والولد إلى عمله ، والبنت إلى مرتزقها الشريف ، والزوجة ترعى مملكتها ، وكل شىء بنظام ، فالبقر مزاود لا تجاور المساكن ، ولكنها غير بعيدة منها ، والدجاج أكواخ جدرانها من شباك السلك وأرضها تكنس وترش بالماء كل يوم ، ويبذل للدواجن من العناية الصحية بالغذاء والماء والتهوية مالو بذل بعضه فى العناية بأبناء الفلاحين المصريين لزخر الريف بالأصحاء الأقوياء الخالين من العاهات والأمراض .

وأذكر أن جميع القرى الفرنسية بها منابع للماء النقى القراح . أما أطفال الأسرة فأن الحكومة المحلية تسهر عليهم وترعاهم ، وما على الأم إلا أن تودع أطفالها فى دوضة

الأطفال الملتحقة بكتاب القرية ، وهناك تجد الأطفال معلقة بل أما شفيقة ترعاهم وتحنو عليهم وتقبلهم إذا جاعوا ، وتكفكف دموعهم إذا بكوا ، وتلقنهم مبادىء التربية والتعليم ومحبة الله ومحبة قرنا ومحبة المدرسة . فإذا فرغت الأم من عمل اليوم سعت إلى أطفالها لتعود بهم إلى دوارهم فائزين كاسبين .

ومما هو جدير بالذكر أن نظام القرى الفرنسية يجعل العقبات أمام المنتجين ميسرة ، فالمحصول إذا نضج يسهل تصريفه جملة أو قطعا وفق مصلحة الفلاح ولا تقل في وجهه المصارف قط ، والأسعار واحدة في جميع القرى المتصلات المتشابهة ، والفلاح أمامه أسواق المدن لتصريف ثمراته بالقطعة ، وأمامه شركات التعاون وشركات الغذاء لابتياع منتجاته جملة ، وبأسعار علنية وبمقياس مضبوط ووزن لا يطفف كيله . فلماذا لا تسعد أسرة الفلاح الفرنسي وهذه حياتها المثلى ؟ ولماذا لا تسعد فرنسا حكومة وشعبا بسعادة منتجيها ؟

في قرية مصرية

الآن نحن في قرية مصرية ، وفي مصر تختصر السكك الحديدية بالمدن دون القرى ، فلا ركب سيارة ، ولكن الطرق الزراعية مملوءة بالمصاب وأكثرها غير ممهد ، بل والطرق الزراعية الرئيسية عندنا تلاصق قنوات الماء فتهبط سريعا بضغط المرور في معظم العام ، وما في كل مرة تسلم السيارة ، لهذا كانت أعمار السيارات في القرى قصيرة وجدتها لا تدوم أكثر من مرحلة . الآن نحن على أول دروب القرية ، فلنهبط الركب حتى يعالج السائق إصلاح السيارة في فوهة الدرب أو الحارة ، والقرى المصرية محرومة من نعمة الطرق والشوارع الصالحة لمرور السيارات والمركبات ، وحسب ابن آدم أن يمر على دابة . أما حفر الجمل ووقوعه بما حمل في أزقة الريف فحادث مألوف كل يوم .

الآن نحن على عتبة دار الفلاح فإذا قصدت الدخول فالغالب أنك تهبط عن مستوى الطريق ولا تحاول وصف داخل منزل الفلاح ولكنا نصف حياة أفراد أسرته ، فأول المبكرين في الاستيقاظ الزوجة ، حيث تحمل جرتها وتنشط إلى النهر أو القناة مرة أو مرات وفق الحاجة . ثم يستيقظ الرجل ليكرع أقداح القهوة السادة ويحمل فأسه ويقصد حقله وكل ذلك قبل شروق الشمس ، أما أولاده فإذا طلعت الشمس طلوا بناتا مقعدا في خرقة ، واقتادوا الجاموس والماشية إلى المرعى ، فإذا كان الظهر أعدت المرأة وعاء به عصيدة أو جبن وبصل ومخلل أو خضار من مخلفات العشاء ، فإذا أقبل الليل التف أفراد الأسرة حول (طبلية) ليأكلوا معا طيخة بالعسل أو الدسم ، وطالما تتخلف الزوجة عن تناول

الطعام حتى تأمن ضيع الزوج والعيال وحسبها بعد ذلك لذيذات أوقات تفضل من بعلها وفلذاتها .

هاهي الماشية عطشى ، فليبحث لها عن ماء رائق من عين أو ساقية أو (طلمبة) ، وها أفراد الأسرة عطاش فليشربوا من ماء النبع والقنوات مزيجا من طين وقاذورات وجراثيم وماء ، وها هي الطير والدجاج وسائر الدواجن في عقر الكوخ وأمامها قصعة أو صحاف للماء الآسن شرابا لها ، وقاذورات والبعوض والقاش نصف الغذاء .

وهاهم أفراد الأسرة وحيواناتهم وطيرهم بين أربعة جدران طوال الليل .

مطلع الأصلاح

المدرسة الالزامية ستطلب أبناء هذه الأسرة وبناتها منذ الجيل السابع - فهل هم أصحاء البصر والحواس أقوياء البنية . وهل غذاؤهم موفور في الدار أو في المدرسة ؟ وهل يدخل جوفهم ماء يروهم ويحييهم أم أدواء تفنيهم وتفتس دمهم وتشحب سحنهم وتطوى قصدهم ؟ رب هب لقرى مصر إصلاحا عميا وتدارکا عاجلا ، رب لقد رمت مصر أزخر النعم فعلام سيرها إلى الأصلاح وئيداً وخطاها إلى الانتشار متثاقلا

رب ما هذا التفكك ؟ ما هذا التواكل وسائر الأمم تسير إلى الأمام ؟ !

رب هب قرانا مصلحين يمنحون لله والوطن والسلام

عبد الفتاح الباسل نصير المحامي

التهذيب الديني ضروري جدا في مدارس الأناث . لأنه أقوى ضمان لسعادة الزوجين . ينبغي أن يكون تعليم النساء دينيا لاعقليا لأن ضعف المرأة وتزعزعها في آرائها . ومركزها في الهيئة الاجتماعية وحاجتها المستمرة إلى سند تستند إليه لدى الكوارث وشعورها بالحاجة إلى من يقدر لها سيئاتها ويقبل توبتها كل ذلك يستلزم الاعتقاد في دين من الأديان

* * *

إني أعلم أنه ليس لي صديق مخلص فكل الناس أصحابي مادام الحظ يخدمني

* * *

أتعلم ماذا يكون أصعب على الحر من انقلاب الأيام ومعاكسة الدهر ، إن دناءة الرجال ونكرانهم للجميل أشد على النفس من مصائب الزمان . (تابليون)